بحوث قسم اللغة التركية

خطة النجاة للملك التركي "شو" (Şu) في حربه مع الإسكندر من منظور الأدب الشعبي التركي من خلال أسطورة "شو" (Şu Destenı)

د / البدري عباس أحمد

مدرس اللغة التركية وآدابها

كلية الآداب جامعة أسيوط

الإيميل الأكاديمي \ Elbadry_azab@aun.edu.eg

الملخص:

هذا البحث يتناول حادثة مهمة كان بطلها الملك "شو" حاكم الترك في آسيا الوسطى خلال القرن ٤ ق.م؛ إذ قد قدم في هذه الفترة الإسكندر المقدوني حتى اقترب من حدود بلاد الترك، وكان ملك الترك أمامه خياران، إمَّا الحرب، أو الخدعة والمكيدة، فاختار الثانية، كيف له ذلك، كان عليه وضع خطة نجاة له ولشعبه، استعان في الإعداد لها بعدة عوامل كان منها الأربعون شجاعًا الذين هم خاصته، وكذلك المسبح الذي صنعه من فضة، وكان يملؤه بالماء، ويجعل البط والإوز يسبحون، ويغوصون فيه، وكان ينظر إليهم مليًا، ثم يخرج بخطة نجاته هو وقومه، وقد كان له ذلك بناءً على معلومات قدوم الإسكندر واقترابه من حدوده، والتي أخبره بها شجعانه الأربعون، وأيضًا من خلال ما اختُص به فقط دون بقية شعبه، وهو استخلاصه رموزًا أو أمارات من سباحة وغوص الإوز والبط، فوضع خطة نجاحه متمثلةً في الهجرة وترك موطنه شاغرًا عند دخول الليل عليه والاتجاه نحو الشرق حتى يتقوى بالقبائل التركية عندها يجد الإسكندر نفسه وجيشه وقد حُوصروا في وسط آسيا، بينما هو يريد إكمال المسير إلى تركستان الشرقية، وحينئذٍ سيطلب الإسكندر من الملك "شو" الصلح، وبمقتضى هذه الخطة يكون الملك "شو" قد نجا هو وشعبه، وهذا يُعَدُّ انتصارًا لهم جميعًا.

Summary

This research deals with an important incident, the hero of which was King Shu, the ruler of the Turks in Central Asia during the ٤th century BC. During this period, Alexander the Great came to approach the borders of the countries of the Turks. The King of the Turks had two options, either war or deception and intrigue, so he chose the second how to do that He had to draw up a survival plan for himself and his people. He used several factors in preparing for it, including the forty brave ones who were his own, as well as the swimming pool that he made of silver and he used to fill it with water and make ducks and geese swim and dive in it. On the information of Alexander's arrival and his approach to his borders, which was told by his forty braves, and also through what he specialized in only without the rest of his people, which is his deduction of symbols or sign From swimming and diving geese and ducks, he developed a plan for his success represented in emigration and leaving his homeland vacant when night entered it and heading towards the east until he was strengthened by the Turkish tribes. Shaw, the peace agreement, and according to this plan, King Shuo and his people have survived, and this is a victory for all of them.

المقدمة

إنَّ الأساطير التركية ما زالت تمدنا بموضوعات شيقة جميلة تحوي بين ثناياها أحداثًا خرافيةً لأبطال الترك وملوكهم، كما تمدنا بمعلومات عن الشعب التركي من ناحية تاريخه وجغرافيته وسياساته وحروبه وعاداته وتقاليده، وهذه فوائد مهمة تضيف لحضارة الأمة التركية، ولا سيَّما في ساحة الأدب الشعبي التركي.

وكان كل هذا موجودًا في أسطورة الملك "شو"، الذي هو أحد ملوك دولة السقاه التركية (Sakalar)، والذين حكموا قبل الإسلام، وكانت دولتهم تقع في وسط آسيا، وكان لديهم مدن مترامية الأطراف، ويعيشون حياة مدنية بالإضافة إلى الرفاهية التي ينعمون بها في شتى شئون حياتهم؛ لذا فإنَّ الشعب التركي لم يكن خلال هذه الفترة يحيا كله في البداوة، فمثلًا كان للمك "شو" قصرٌ في بالاساجون وكذلك قلعة. وكان في هذه البلدة وغيرها مظاهر تشهد بالحضارة للأتراك في ذلك الوقت، كل هذا تبلور في مواجهة الإسكندر الأكبر، فلو كان هذا الملك مجرد حاكم بدوي بسيط يحكم مجموعات من البدو الرحل لما كان وضع مثل خطة النجاة هذه التي تعتمد على الفكر والعقل أكثر من القوة والاندفاع دون حساب، وكان للأدب الشعبي التركي من هذه الأسطورة فائدة جمة؛ إذ احتوت بداخلها على عناصر من الخرافة ورموز ورسالات جعلت المستمع للأسطورة يحبها، ويتناقلها عبر عصور مديدة، وكانت النتيجة بالنجاة دون حرب بين الجيش التركي والجيوش الجرارة التي قدم بها الإسكندر لغزو آسيا،إذًا كيف جرت هذه الأحداث؟ هذا ما سنعرفه بين ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

أهمية الموضوع: حدث مهم في تاريخ الأمة التركية صُوِّرَ وشُرِحَ وعُرِفَتْ نتائجه من خلال أساطير الأدب الشعبي التركي، فكانت هذه فرصة بالنسبة لنا أن نعرف مثل هذه الأحداث من منظور الأدب الشعبي التركي، وهو إضافة جديدة متميزة لأساطير الأدب الشعبي التركي.

المنهج: انتهجت في هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي سواء كان أدبيًا أو اجتماعيًا، فجعلت الأحداث التي تجري داخل أحداث الأسطورة تسير ما بين تعاون أفراد المجتمع التركي في صورة اجتماعية جميلة، كل منوط بدوره، وبين ما يتخلل هذه الأحداث من حضور للأدب الشعبي بين ثناياها.

المدخل

إنَّ هذه الأسطورة التي نحن بصدد دراسة جانب واحد فيها، وهو نجاح خطة الملك للنجاة بنفسه وأمته – أنستنا أنفسنا، وساقتنا في أثر مشاهدها الجميلة مستنبطين منها عدة نقاط مهمة، من أهمها: عنوان البحث، وهو نجاح الخطة، ولكن كان يلزم لنجاح هذه الخطة عوامل مساعدة، هذا ما ذكرته في بحثي، فمثلًا لولا الأربعون شجاعًا، وذلك الحوض المملوء بالماء، الذي تسبح فيه الطيور، ولولا هذا الذكاء والدهاء اللذان يتمتع بهما الملك "شو"، ولولا أنه اختار عامل الوقت ليكون هو الفيصل في نجاح خطته – ما كان له تحقيق تلك الاتفاقية التي وقعها مع الإسكندر، حيث عمَّ بسببها السلام في وسط وشرق آسيا على الأمة التركية بأكملها، كذلك لم ننسَ دور الخرافة، التي كانت بمنزلة كلمة السر لإنجاح هذه الخطة.

حاولت في هذا البحث إظهار أنَّ الأدب الشعبي التركى ومن خلال أساطيره قد تبوأ منزلة سامية بين الآداب الأخرى، فهذه الأسطورة ورغم سهولة نصها وعدد صحفها التي لا تتجاوز صحفتين اثنتين، فإن الإشارات والرموز الموجودة فيها تحوي الكثير الذي حاولنا أن نكشف بعضًا منه خلال هذا البحث.

المبحث الأول:

(أ)– التعريف بتاريخ الملك التركي "شو" (Şu) .

(ب)– أهمية أسطورة "شو" (Şu Destanı) بين الأساطير التركية قبل الإسلام.

المبحث الأول:

(أ)– التعريف بالملك "شو" (Şu):

يذكر في كتاب ديوان لغات الترك لمحمود الكشغري أنَّ "شو" هو ملك تركي حكم الترك في القرن الرابع ق.م، وهو من سلالة السقاة(Sakalar) الذين حكموا الترك بداية من القرن الحادي عشر ق.م، وعاشت أسطورته منذ هذا التاريخ حتى كتبها محمود الكشغري في القرن الحادي

عشر الميلادي، ويظهر في المصادر التاريخية اسم "شو" على النحو الآتي في مصادر القرغيز(Kırğızlar) (Çu)، وفي المصادر الأرمنيه القديمة (Su)، وفي الإيرانية (So)، وكان يعيش في آسيا الوسطى وسط قبائل تعمل بالرعي وراء نهر أراس (Aras)، وكان يعيش بالتحديد في منطقه تسمى سيساكان(Siseken)، وهو من حقبة الحكام السقاة، وكان السبب الرئيس لوقوع أحداث هذه الأسطورة هو غزو الإسكندر المقدوني لتركستان وإيران؛ ومن ثم فهو سيمر عبر الأراضي التي تقع فيها مملكة السقاة، والذين هم إحدى قبائل الترك الذين كانوا يقيمون في وسط آسيا؛ لذا كان الملك "شو" يترقب وصول الإسكندر، فكانت المواجهة حتميه.[١]

وتذكر المصادر أنَّ أحداث الأسطورة حدثت ما بين أعوام ٣٣٠ إلى ٣٢٧ ق.م، وأنَّ "شو" كان حاكمًا شابًا، وله جيش كبير وقوي يحكمه بقوة، ويسيطر على كل أركانه، وكان لتأمين حكمه وجيشه وشعبه قد بنى قلعة بالقرب من منطقه بالاساجون(Balasagun)، وكان يدير شئون شعبه وحكمه من خلالها، وكانت بالاساجون مدينة غنية جدًّا بمواردها وتجارتها، وكان "شو" يقيم داخل هذه المدينة في قصر مشيد، ويذكر أنَّ بعض قيادات جيشه كانوا يتمردون عليه أحيانًا، فيتجمعون أمام هذا القصر .[٢]

(ب)– التعريف بأسطورة الملك "شو":

هذه الأسطورة هي إحدى أساطير الأدب الشعب التركي التي جرت أحداثها قبل الإسلام في القرن الرابع قبل الميلاد، وهي خاصة بحادثة مهمة، وملخصها أنَّ الإسكندر المقدوني كان له حروب في آسيا بينه وبين أكثر من دول، وكان من بين هؤلاء مواجهته مع الأتراك الذين يسكنون آسيا الوسطى، وكان يطلق عليهم أتراك الساكا(Saka Türk)، وكان حاكمهم الملك "شو" (Şu Hakan)[٣] . وكانت هذه المملكة تضم الكثير من القبائل التركية التي تسكن وسط آسيا[٤]، حتى أنَّ هذه الأسطورة أمدتنا بمعلومات عن كيفية قيام دولة الأوغوز من حيث عدد القبائل التركية التي كانت تسكن وسط آسيا؛ لأن دولة الأوغوز تأسست بعد هذه الأسطورة بحوالي خمسة قرون، أي: في القرن الثاني الميلادي[٥].

والأسطورة ملخصها أنَّ الإسكندر المقدوني عندما تحرك لغزو إيران وتركستان كان سيمر خلال هذا الغزو على بلاد الترك السقاة (sakalah) وحاكمهم "شو"، وبديهي فإن الأتراك كانوا يخشون قدوم الإسكندر نحوهم، وهذا يعني احتلال بلادهم، عند ذلك أخذ الملك "شو" يتشاور ومستشاريه، وأشاروا عليه بأن يرسل طليعة من أمهر المحاربين وأشدهم بأسًا في جيشه، وهم شجعانه

الخاصين به، وعددهم أربعون، يستطلعون الأمور، ويخبرونه بما يشاهدونه من طلائع لجيش الإسكندر، وبالفعل ذهب الأربعون شجاعًا لأداء مهمتهم، وعندما شاهدوا من على بعد جيوش الإسكندر قفلوا راجعين إلى ملكهم، وأخبروه بما شاهدوه، عندها وقف المستشارون العسكريون أمام الملك "شو"، وانتظروا منه خطة أو رأيًا فيما سيصنعون أمام هذه الجيوش التي لم يتمكن أي جيش آخر من الوقوف في وجهه، فكانت المفاجأة حيث لم يكترث الملك "شو" بما يدور حوله من أحداث، وكان هذا الموقف بمنزلة صدمة لكل مَنْ حوله، وقد حاولوا فهم أو تفسير ما يجري دون جدوى، وكان لحوض مصنوع من فضة كبير صنعه فنانون وعمال مهرة أهمية كبيرة لدى الملك "شو"؛ إذ كان يصطحبه معه في أي مكان يذهب إليه عند الأزمات والحروب، والأدهى من ذلك أنه كان يملأ ذلك الحوض بالماء، ويجعل الإوز والبط يعومون فيه .[٦]

وكان هذا المشهد لا يليق بملك كبير يحكم دولة تركية حتى في نظر الكثير من الشعب وكذلك جنوده وجيشه إلَّا أنه كان في النهاية، وبعد أن يملأ هذا الحوض بالماء، ويضع فيه البط والأوز، يطيل النظر إلى هذه الطيور مليًا لفترة طويلة من الزمن، بعدها يقرر ماذا يتخذ من قرارات مناسبة بشأن أمة بأكملها، وهنا قد وصلنا إلى الخرافة بين ثنايا الأسطورة دون أن ندري، فالأحداث لا تتماشي وما يحدث ويصور بين ثناياها في مثل هذه الأحوال؛ إذ كيف لملك يواجه أعداءه، ويعتمد في قراره على مجرد حوض من فضة يملؤه بالماء، ويضع فيه إوزًا وبطًا، وينظر إليهم وهم يعومون ويغوصون، ثم يتخذ قراره عقب ذلك حتى أنَّ هذا جعل من قواد جيشه ينظرون إليه أنَّه غير مبالٍ لما يحدث حوله، إذًا ومن خلال متابعة أحداث الأسطورة سنعرف كيف وضع هذا الملك خطة النجاة مستعينًا بذلك الحوض وتلك الطيور، التي كانت نتائجها –كما سنوضحها في هذا البحث– هل كانت يا تُرى في صالح الملك ودولته أم عليه، وهل جلبت له النصر أم الهزيمة.

كل هذا سنعرفه بالتفصيل إن شاء الله بين دفتي هذا البحث، وأود أن أنبه إلى شيء مهم، وهو أنَّ الإسكندر يذكر اسمه في الأسطورة التي كتبها محمود الكشغري بذي القرنين، وذلك راجع لمدى التشابه بينه وبين ذي القرنين في فتوحاته، ومن الأسطورة نستشهد بهذا النموذج، وهو مقدمة الأحداث وبدايتها.

"عَبَرَ ذو القرنين سمرقند، وبينما كان متجهًا صوب بلاد الترك كان يوجد ملك للأتراك شاب يُسمى "شو" يملك جيشًا ذا قوة كبيرة وأعداد كثيرة".

Zülkareyn, Semerkand'ı geçip de Türk ülkesine (yöneldiği sıralarda, Türklerin çok kuyvetli ve büyük ordusu bulunan ŞU adında genç bir hakanı vardi,)

"Ali ÖzTürk Çağları içinde Türk Destanları ,S:٩٦"

ويذكر أنَّ أجواء الأحداث داخل الأسطورة كانت مناسبة لما تذكره عنها المصادر من حيث طبيعة الموقع الجغرافي للأتراك في تلك الحقبة، وهو آسيا الوسطى، كذلك طبيعة حياتهم البدوية التي كانوا يعيشونها، وإن كانت تتخللها بعض مظاهر المدنية، مثل: مدينة بالاساجون، التي كان يسكنها الملك "شو"، وموجود بها قصره وقلعته.

إنَّ أهم ما يمكننا التركيز عليه في هذه الأسطورة هو الإعداد للقاء جيش قوي مثل الجيش المقدوني، ومدى توافق القبائل التركية وتكاتفها لتجاوز مثل هذه الأحداث شديدة الصعوبة.

المبحث الثاني: الموقعة الحربية التي لم تتم وخطة النجاة:

سيكون هذا المبحث بمنزلة بداية تتبع الخيط الذي من خلاله سنصل إلى ما تضمنته الخطة التي وضعها بإحكام ذلك الحاكم الشاب "شو"، والذي قد يظن فيه أحد أنَّه غير مبالٍ ولا مهتم بما سيحل على رأس أمته من غزو على يد الإسكندر، وهذا طبقًا لما مهدناه سابقًا من أنه بدلًا من أن يتمنطق بسيفه مصطحبًا معه عدة حربه واقفًا بين جنوده وجيشه يشد من أزرهم، ويضع خطة المواجهة بين أيديهم لملاقاة العدو الغازي، وبالطبع هذه الخطة درست دراسة وافية بالتشاور مع قواده العسكريين المهرة، الذين بذلوا قصارى جهدهم وتجاربهم العسكرية، ووضعوها لمثل هذه الأحوال القاسية، التي لم تمر عليهم من قبل، كل هذا للأسف كما يتراءى لنا لم يحدث، بل حدث ما لم يكن في الحسبان فقد حدث الآتي:

(١) الإعداد للخطة:

رغم أننا بصدد ساحة حرب جهزت وأعدت فإنَّ الملك اصطحب معه جنوده، وخرج بكامل جيشه لملاقاة ذلك العدو إذًا ننتظر منه أن يقدم لنا صورة تتناسب وهذا الحدث إلَّا أننا نجد منه أن خطته ترتكز على أشياء لا يمكن قبولها لمتخصص في العسكرية أو حتى غيره فقد اتخذ قرارًا

بأن يكلف شجعانه بالتجسس واستطلاع جيوش العدو مصطحبًا كذلك عدة غير حربية، متمثلة في ذلك الحوض من الفضة المملوء بالماء، ويسبح فيه البط والإوز.

وكان الملوك الذين حكموا الترك، ولا سيما حقبة ما قبل الإسلام، يتمتعون بالسمع والطاعة والانصياع لأوامرهم من قبل شعوبهم وجيوشهم؛ لأنَّهم يمثلون لهم القوة والحماية وهم بمنزلة الدرع الواقي من الأعداء المحيطين بهم.[٧]

(٢)– العوامل المساعدة التي ارتكزت عليها الخطة:

كانت أهم العوامل هي الحالة النفسية للملك "شو"، فبينما جنوده وقواته يجهزون معداتهم الحربية، فإذا به يتخلى عنهم، وأخذ يفكر في خطته السلمية التي لا يراق فيها دمٌ، ولا تغتنم فيها غنائم، ولا يهزم فيها الوطن، كيف إذًا سيتحقق ذلك. أخذ الملك من تفكيره العميق عاملًا أساسيًا حتى يبلغ ما يريد، وقد كان له ذلك.

ويبدو من خلال هذه الخطة التي كانت معدة من حوض مصنوع من الفضة مملوء بالماء، يسبح فيه الإوز والبط، أنَّ الملك كان في قرارة نفسه يضمر شيئًا أسره في نفسه، وكان يبدو لمن حوله أنَّه يتسلى بشيء لا ندرك نحن حقيقته وكنهه إلَّا أنَّ الملك سيثبت لنا أنَّ هذه العوامل اليسيرة في نظرنا تمثل له نوعًا من الروحانية التي لا يفهمها إلَّا هو، فمن خلالها يستطيع أخذ قرار مصيري مثل ملاقاة جيش عدو قد يبيد أمته، ويقضي عليها قضاءً مبرمًا . إذًا فنحن نتساءل ما فائدة مثل هذا العمل في هذا التوقيت الحرج لمستقبل أمة بأكملها، وتكون الإجابة أنَّ النتائج ستبهرنا، فلا نتعجل، وهنا بدأت الأسطورة في هذا الموقف تحوي بين ثناياها أنواعًا من الأدب الشعبي التركي، وأهمها: الخرافة.

(٣)– مكاسب الخطة للملك "شو":

إنَّ هذه الخطة التي استطاع الملك "شو" وحده أن يصل إليها من خلال تتبعه لسباحة البط والإوز داخل المسبح المصنوع من الفضة الخاص به –جعلت من اسمه عبر العصور فى تاريخ الأساطير التركية مضربًا للمثل بأن فعل مثل هذه الخطة التي تمخضت عنها مثل هذه النتائج العظيمة، فما كان لأحد غيره أن يفكر فيها، وهذا قد فتح مجالًا لأسئلة كثيرة، منها: يا تُرى هل الملك "شو" عندما كان ينظر إلى هذا المسبح ماذا كان يرى دون غيره، وعلى ماذا كان يعتمد حتى يخرج لنا بهذه القرارات الصائبة، إنه أصابنا بالحيرة والدهشة معًا، فكيف لمجرد نظر لحوض فيه بط وإوز أن يتخذ

قرارًا قلما صادفناه عبر القرون والأزمان، ويكون بمنزلة نجاة لأمة بأثرها، فهو لم يحارب ولم يخسر شيئًا من عتاده ولا جيشه ولا شعبه، بل ولا حتى من ممتلكاتهم، إنَّ هذا وبحق هو نجاح يحسب للملك "شو"، والسر في هذا المسبح الفضي لم يخبر به أحدًا غيره، ولنا النتائج المقترنة بالنصر الذي حققه، فلا يلومنا أحدٌ بأنَّ نقول إنه كان يملك من الأسرار ما لا يملكه غيره في عصره، بل ومن تلاه من العصور.

(٤)– مكاسب الخطة للأمة التركية:

إذا كان ملك الترك قد حقق لنفسه نجاحًا بسبب ما قدمه من خطةٍ محكمةٍ سهلةٍ أفادته وأمته على حد سواء، فإنَّ الترك قديمًا قد حققوا نتائج عظيمة؛ بسبب نجاتهم من هذه الحرب الطاحنة، أما الأتراك عبر تاريخهم من بعد هذه الحادثة، فكان لهم النفع الأكبر حيث استفادوا من هذه التجربة التي طبقها الملك "شو"، وعرفهم طرق مقابلة عدوهم بالتفكير والتعقل أولًا، ثم إذا لم يحقق لك ذلك ما تريد؛ فعليك أن تلجأ إلى ما بعد ذلك من خطط قد وضعتها أنت سلفًا، كما استفاد الترك حتى عصرنا الحالي بوجود أسطورة تحوي على مثل هذه الأفكار التي تدل على نضج حكامهم وذكائه منذ القدم، وقدمت هذه الأسطورة للساحة الأدبية الشعبية التركية فنونًا جميلة كان منها الاستعانة بما لا ينتظر منه المساعدة مثل حوض الفضة الخاص بالملك، كذلك دور الطيور في الأسطورة، والتي قد تكون هناك لغة حوار مخفية على الجميع منذ حدوثها وحتى الآن إلَّا على الملك "شو" فقط، كل هذا أضفى نوعًا من النجاح على الأسطورة، لا سيما أنها كانت قبل الإسلام، وهو بمنزلة تاريخ سحيق، وبالنسبة للأساطير التركية فكل ما روي عنه كان شفاهية، وتناقلته الألسنة بين ثنايا الشعب.

وتذكر المصادر أنَّ الأسطورة التركية قبل الإسلام كان أكثر موضوعاتها متعلقًا بالآلهة يليهم الحكام والأمراء.[٨]

كانت مكاسب الخطة التي استطاع من خلالها الملك "شو" التغلب على تلك الأوضاع القاسية عليه وعلى أمته، وتفويت الفرصة على هذا الغازي لبلاده أن يكتب في تاريخ الأمة التركية أنها قد هُزِمت على يد الإسكندر في القرن الرابع ق.م، كان هذا مكسبًا ليس بالقليل استطاع الملك "شو" أن يهديه لأمته وقت حدوث هذا الغزو، وتركه لمن بعده من الأجيال المتعاقبة للأحفاد من الترك مكسبًا لهم بين الأمم حتى يومنا هذا. وكان هذا أحد مكاسب الأمة التركية؛ نتيجة للخطة التي أنقذت الترك في تلك الحقبة، كذلك وكما ذكرنا كان للساحة الأدبية الشعبية هي الأخرى أن

تأخذ من تلك الأسطورة بعضًا من الرسائل الأدبية التي تُضاف إليها، وكان أهمها هو ذلك المشهد الذي أُخرج داخل الأسطورة بصورة عالية من الدقة والجودة، فبعد إحضار الملك للمسبح المصنوع من الفضة، والذي يبدو وكأنه كبير الحجم حيث يتسع لكثير من الطيور – يلزمهم مسبح، وكأنه بركة حتى يسبحوا، ويغوصوا فيه، فهذه طبائع تلك الطيور عند سباحتها في الماء، فكأن المسبح هنا كبير في طوله وعرضه وعميق أيضًا، وهذا ما يناسب مكانة ملك يحمل معه مثل ذلك المسبح، ثم النظر إلى هذه الطيور، وهي تسبح، ثم بعد ذلك تأتي القرارات، ففي هذا إثراء للحالة التي تسير أحداثها بين ثنايا الأسطورة وكأنها جعلت أعيننا تتابع الملك في تصرفه هذا وما سينتج عن هذا الموقف، ونحن لسنا في فسحة ولا نزهة، بل نحن ننتظر عدونًا في الطريق قادمًا علينا وقد يقتلنا، فكان هذا النجاح للأسطورة التي أيقظتنا، وجل اهتمامنا منصب على مجريات الأحداث.

(٥)– الحبكة الفنية للخطة:

إنَّ خطة مثل هذه تحتاج إلى إعداد دقيق وحكمة في وضع الأسس التي ستقوم عليها، وتحتاج إلى فن في إدارة تنفيذها، وتدبير في ترتيب الخطوات، كان كل هذا من الملك "شو" داخل أسطورته، فخروجه وقومه وكأنه يعد العدة لملاقاة الإسكندر كان هذا من باب الحيلة والمكيدة حتى جعل الإسكندر وجيشه يوقنون بأن الملك "شو" وجيشه سيحاربونهم ، ثم الانتظار حتى لحظات ظن فيها الترك أن ملكهم لا يعنيه ما يحدث حوله، وأنه سيتركهم لهذه الجيوش القادمة عليهم، وكأن من بين بنود الخطة المحكمة، أننا أمام عملية خداع كبرى، كانت من قبل "شو"، واستطاع أن يجبر الإسكندر وجيشه أن يكون هو قائد المشهد من خلال هذه الحكمة العالية فى إدارة الأزمات.

كانت الخطة تعتمد على أحد أركان الخداع المهمة، وهي أن تجعل كل من حولك يفكرون بطريقة، بينما أنت وبدهاء يحسب لك يكون تفكيرك في زاوية مختلفة عن تفكيرهم، ثم تفاجئهم بما تظهره لهم من نتائج باهرة، وهي في النهاية لصالحهم ولصالح الأمة بأكملها.

(٦)– رمزيات الخطة:

عند الحديث عن رمزيات الخطة كانت الخطة تحتوي على الكثير من الرموز المهمة: أولها– أن الحرب ليس شرطًا رئيسًا فيها ملاقاة العدو وقتاله، ثانيها– أنَّ الملوك لهم أفكارٌ تختلف عمن سواهم من الرعية، ثالثهم– عمق هذه الأفكار لدى الحكام يجب أن يعطي للرعية نوعًا من الثقة في

ملوكهم، فينصاعون لهم، ويخضعون لحكمهم وهم على ثقة أن العقلية التي تحكمهم ليست بالهينة ولا اليسيرة.

كما أنها تضم بين ثناياها رمزًا مهمًا، فحواه أنَّ الشعب عليه بعد اتباع حاكمه، والتسليم له، وطاعته أن ينهجوا نهجه في حياتهم بأن يدافعوا عن ممتلكاتهم وما هم مستخلفون عليه، وأن يكونوا يقظين دائمًا على مستقبلهم وأمتهم.

كما يوجد أيضًا رمز الفكرة السهلة فيما يظن العامة ذلك، بينما قد تكون أساسًا متينًا لدى الحاكم ينتج عنه مثلما حدث مع الملك "شو" وأمته، فقد نجاهم جميعًا بفكرة استقاها مما يظنون أنه خرافة، وهو ذلك الحوض، وتلك الطيور السابحة فيه، ولا تسأل كيف يحدث هذا، فأنت لست بحاكم، ولا تملك ما يملكه من رجاحة عقل وبُعد نظر في الأمور كلها لا سيما في الأمور المصيرية مثل الحروب.

إنَّ كل هذه الرموز هي من الأهمية بمكان للأدب الشعبي التركي فيما يخص الأساطير، فالأسطورة لو كانت كل الأحداث فيها واضحة مثل وضوح الشمس لما امتازت عن غيرها من فنون الأدب الشعبي التركي إنما ذكر مثل هذه الرموز التي تتوارى خلف مشهد مثل هذا، وهو المسبح الفضي المملوء بالماء وسباحة الطيور بداخله إنما هذا ما يلزم للأسطورة التركية حتى لا تتضمن مجرد أحداث عابرة متكررة مثل بقية القصص والروايات الأخرى، وإنما جاء تفوقها عليهم جميعًا بمثل هذا.

إنَّ الأسطورة عندما تحوي بين ثناياها أحداثًا يُضرب بها المثل عبر العصور، ولا سيما تلك التي لا يقبلها العقل، إنما ذلك هو نجاح للأساطير التركية خاصة التي كانت قبل الإسلام[٩].

(٧)– دقة تنفيذ الخطة:

كان لنجاح هذه الخطة مرحلة شديدة الأهمية، وهو تنفيذها بدقة عالية دون أخطاء قد تتسبب في فشلها إذًا نحن بصدد أهم مراحل نجاح الخطة، وهي: الدقة، والاهتمام، والعناية الفائقة بتنفيذها، وفي رأيي كان عامل دقيق من عوامل نجاح هذه الخطة وهو السرية التامة، والتي جعلت الملك "شو" لم يتحدث مع المحيطين به عنها، بل أسرها في نفسه، يزيد عليها في خلده، وكأنه يتحدث مع أكثر من مستشار بداخله، وهؤلاء المستشارون ما هم إلا خبرته ودرايته بعواقب الأمور، وكذلك شجاعته التي تحدثه من حين لآخر، وكأنها تقول له أنت على الطريق الصحيح، ولن أتخلى عنك وعن قراراتك، وكذلك المستشار المهم الذي يوجد في خلده متمثلًا في حبه لوطنه

ولأمته، فكان يستشيره كثيرًا كيف أتصرف فى هذا الموقف الصعب شديد القسوة، وأعتقد أن نفسية الملك "شو" عند حدوث هذا المشهد بين ثنايا أحداث الأسطورة وهو ينظر إلى هذا الحوض الفضي المملوء بالماء، وكأنه جعل الطيور بمنزلة مستشاريه، فينظر إلى ألوانها، فمنهم الأبيض، وكأنه يرى حب الوطن، وينظر إلى اللون الأسود فيهم، وكأنها الحرب مع العدو، ويترك تأثره بالألوان، فينظر إلى أحد الطيور فكأنها تمثل له خبرته، والأخرى بمنزلة درايته بعواقب الأمور، أما الثالثة فهي تمثل له شجاعته، وكأنه يلجأ إلى مستشاريه، ويجعل قاعة الاجتماعات الخاصة بهم هو ذلك المسبح، وهو رئيس لهذا الاجتماع يرى تحرك مستشاريه فتصله الرسائل من كل مستشار على حدة كاشفًا عن رأيه فيما حل بهم من أوضاع لحربٍ قد تكون طاحنة لو وقعت، وفي النهاية اجتمع رأي المستشارين مع رئيس المجلس، واتخذوا القرار بتنفيذ هذه الخطة، والتي نجحت بفضل هذه المشاورات التي حدثت، ولولاها لما توصل الملك لخطة النجاة، وهذه رموز جميلة تسري بين ثنايا الأسطورة، وتضيف جديدًا إلى الأدب الشعبي التركي بمختلف صنوفه وأنواعه، ناهيك عن أنها تعد بمنزلة رسائل جميلة محببة لذلك الشعب التركي عبر عصوره وأزمانه.

ويذكر في الأسطورة مشهد المسبح كالآتي:

"كان للملك بركة (حوض كبير) من الفضة، اعتاد أن يحملها معه في كل مكان، حتى عندما يذهب في رحلات يملأ ذلك الحوض بالماء، ويضع فيه البط والإوز، ويسبحون. وسأله أحد الجنود ماذا تأمرنا هل نقاتل؟ وعقب هذا الكلام كان جوابه لتنظروا إلى هذا البط والإوز كيف يغوص في الماء؟!".

(hakanın gümüşden bir havuzu vardı, sefere çıkıldığında beraber. taşınır, içine su doldurulur, sonra kazlar, Ördekler yüzdürülürdü. Kendisine:Ne buyrulur, savaş edelim mi? Denildiği zaman, o cevap olarak, Şu kazlara, ördeklere bakınız, nasıl suya dalıyorlar, demiş.)

"Ali ÖzTürk Çağları içinde Türk Destanları ,S:٩٦"

(٨)– التنسيق الناجح للخطة:

عندما قدم قادة الجيش للملك "شو" وسألوه إنَّ الإسكندر على مقربة من حدودنا فماذا نحن فاعلون، فلم يجبهم بإجابة شافية، بأننا مثلاً سننفذ الخطة ألف أو باء وما شابه ذلك، أو أننا سنهجم في ساعة كذا، أو أن طريقة الهجوم ستكون على النحو الآتي، إنما كانت إجابته عجيبة هو أمرهم بالنظر معه إلى طريقة غوص الطيور، وفي هذا رمز مهم جدًّا في الأسطورة، بل قد يكون أهم رمز وهو لا بد لنا أن نصنع مثل صنيع هذه الطيور، ونتشبه بها بصورة تامة، كيف ذلك بالتنسيق الذي ظاهر أمامكم فيما بينهم لو غطس أحدهم فإن الآخرين لا يسارعون بالغطس حتى لا يكونوا جميعًا تحت الماء؛ فينقض عليهم عدوهم، بل يغوص بعضهم، وينتظر الآخر، وهكذا حتى تكون الخطة على أتم صورة من التنسيق، وكأنه شبَّه المسبح بساحة المعركة، والطيور هم الجنود، وعمق المسبح هو العدو، رمز الهلاك، إنما هو أرسل عيونه ليستطلعوا له جيش الإسكندر، وهم أفضل أربعين شجاعًا من شجعانه، فكأنهم هم الطيور التي غاصت، وبقية الجيش هم أولئك الذين لم يغوصوا، فلو ذهب الأربعون ولقوا حتفهم بقي الجيش، ويمكن لهم النجاة، ولكن لو كل الجيش واجه جيش الإسكندر مخالفًا لما صنعته الطيور، وكأنه غاص بصورة كاملة؛ ومن ثم فإن هلاكهم واقع لا محالة، إذًا أقول لكم وهذا لسان حال الملك "شو" انظروا إلى المسبح ليس من فراغ، ولكن خذوا الدرس من هذه الطيور، فالغوص هو بمنزلة الانغماس في الحرب، ولو غاصت كل الطيور ربما غرقت وفنيت عن بكرة أبيها، إنما لو غاص بعضها وسبح الآخرون فوق الماء؛ لنجا أكثرها، والمراد هنا أنَّ العدو لو هجم علينا لن يتمكن من هزيمتنا.

إنَّ كل هذه الصور الجميلة التي تمدنا بها الأسطورة تسعدنا؛ لأننا كلما شاهدنا فصلًا من فصول الأحداث داخل الأسطورة اعتقدنا أن ما بعده لن يكون على نفس المستوى إلا أننا نكتشف أن الآتي أجمل، وفيه من التشويق والمتعة ما يجعلنا نحب استكمال أحداث الأسطورة، ونحن مستمتعون بفصولها كلها دون استثناء، وكل هذا إنما يصب في بحر صدفاته مكونة من جماليات الأدب الشعبي التركي، فإن استخراج مثل هذه الصور الجميلة وانتزاعها من بين ثنايا أحداث الأسطورة إنما هو إجابة عن سؤال مهم، وهو كيف عاشت هذه الأساطير على الرغم من سهولة عرضها، وعدم الإسهاب في عرض أحداثها؟ والإجابة أنَّ جماليات أكثر الأساطير التركية يكمن بين ثناياها، ولكن علينا أن نفتش عن مثل هذه الجماليات وإبرازها.

وتُعَدُّ الأساطير التركية بمنزلة أحد روافد الثقافة التركية عبر عصورها، فهي أمتدنا بمعلومات غاية في الأهمية لمعرفة عادات الترك وتقاليدهم منذ القدم، وكيف كانت حياتهم السياسية والعسكرية وعلاقتهم بحكامهم وجيرانهم، بل وحياتهم الأدبية والاقتصادية أيضًا.[١٠]

(٩)– مَنْ هم أبطال الأسطورة:

أبطال أسطورة الملك "شو" أرى أنهم كثر على الرغم من محدودية الأحداث داخل الأسطورة فإنني سأذكرهم، وأذكر أهمية دور كل واحد منهم .

أول بطل نراه في أحداث الأسطورة هو الإسكندر المقدوني، فهو البطل الشجاع داخل الأسطورة حتى وإن كان غازيًا لبلاد الترك، ومن خلال تحليلنا الآتي سنكتشف أنه لولا أبطال آخرون في الأسطورة ما كان لهذه الأسطورة أن تحقق مثل هذا النجاح إلَّا أنَّ محرك الأحداث الرئيس في الأسطورة هو الإسكندر المقدوني، فلولا قدومه وغزوه لبلاد الترك ما كانت لأحداث الأسطورة، وهذه الاستعدادات للحرب أن تحدث، إذًا فهو البطل المحرك الأول للأحداث، وكان سببًا في اندلاع مثل هذه الحالة من المواجهة داخل أحداث الأسطورة.

والبطل الثاني هو الملك "شو" ملك الترك الذي ظن كل من حوله أنه لم يعد نفسه لمواجهة ذلك الغزو، أما انفعالاته وردود أفعاله تجاه أسئلة قواد جيشه فإنما كان له دلالاته التي سنعرفها أنها كانت تليق بملك بين يديه أمر أمة بأكملها، فهو محقق النجاح لا محالة حتى وإن ظهر منه ما يدعو إلى التفكير، كيف سيكون لنا النصر وملكنا يبدو عليه علامات القلق من تلك المواجهة، فهدوئه الذي قابل به ذلك الغزو وتلك الحرب يحسب له، وكأنه كامل الثقة من أن فكره سيغلب جيش المعتدي، ويكون بذلك حقق نظرية أن العقل الراجح أقوى من أية أسلحة فتاكة، وكان له ذلك بالفعل بعد تحقيق خطته نجاحًا باهرًا يضرب به المثل حتى الآن في ساحات الأدب الشعبي التركي، وفي تاريخ الأمة التركية.

أما البطل الثالث في هذه الأسطورة فهو ذلك الحوض الذي هو على هيئة بركة من الماء، والذي سبق أن ذكرناه بأن الملك "شو" كان يصطحبه معه عند حدوث أمر جلل، وماذا بعد الحرب من أمر شديد القسوة يحيق بالأمة، ونجاح الملك فيها مرهون به وجوده حاكمًا وملكًا له شعب ودولة. إنَّ سر هذا الحوض خاص بصاحبه هو الوحيد داخل أحداث الأسطورة الذي كان

يتعامل معه، وكان يفهم بالطبع معنى هذا التعامل وما ينتج عنه من قرارات يتخذها بناءً على إمعان النظر إلى هذا الحوض الفضي المملوء بالماء، وتسبح فيه الطيور، ولا نعلم، ولم يعلم كل من كان حول الملك "شو" تلك الرسائل التي كان يرسلها له ذلك الحوض إلا أننا علمنا أنه أرسل له رسائل خير له ولأمته، وذلك بعدما نجحت خطته ونجا قومه من فتك الإسكندر بهم، وكان اتجاهه صوب المشرق حيث تقطن وتعيش القبائل التركية مجتمعة قوية، فكان هذا بمنزلة ملاذ آمن له ولقومه، استطاع من خلاله النجاة من الإسكندر.

أما البطل الرابع فكان الشجعان الأربعون الخاصون بالملك "شو" ودورهم في استطلاع قدوم جيوش الإسكندر؛ مما كان له دور مهم في وضع باقي أركان الخطة عند الملك "شو"؛ إذ إن هذا الخبر بنى عليه الملك "شو" أهم أمر داخل خطته، وهو التوقيت المناسب لتنفيذ الخطة، فعندما علم بموضع جيش الإسكندر استطاع أن يحسب المدة الزمنية اللازمة حتى يصل إليهم، فكان لعامل الزمن العامل الرئيس، كما سنعرف لإنجاح خطة النجاة.

والشجعان الأربعون يرد ذكرهم داخل الأسطورة كالآتي:

"وكان الملك "شو" أرسل أربعين من شجعانه الأقوياء يستطلعون الأمر، ويخبرونه بقدوم ذي القرنين".

(Zülkareyn'in geçtiğini haber vermek için kırk Tarhanı gözcü göndermişdi)

"Ali ÖzTürk Çağları içinde Türk Destanları ,S:٩٦"

وهؤلاء الجنود أرسلهم الملك "شو" لمراقبة جيوش الإسكندر دون علم قادة جيشه، فهؤلاء هم شجعانه الذين يخصونه وحده.

وكان لكل ملك أربعون شجاعًا، وكان هذا تقليدًا قديمًا لدى ملوك الترك وأبطالهم، فقد كان من عادتهم أن كل واحد منهم يتخذ لنفسه أربعين شجاعًا يساعدونه في شتى شئون حياته المتعلقة بحروبه ورحلاته، ويثق بهم دون غيرهم حتى أنهم كانوا يرافقونه في سفرياته ورحلات صيده أيضًا.[١١]

كذلك لا ننسى من أبطال هذا العمل الطيور، التي تمثل دور الحيوان داخل الأسطورة، وأكثر الأساطير التركية لا تخلو من ذكر الحيوانات، مثل: الحصان، والذئب، والنسر، والكلب، وغيرهم، وهذا يضفي على الأسطورة نوعًا من الخرافة في أغلب ذكر مواضع الحيوانات.

ومن الأبطال المهمين أيضًا الجنود والجيش في الطرفين، فوجود حالة الترقب داخل الأسطورة كان يلزمه مقابلة جيشين خلال ساحة حرب، وانتظار جيش "شو"، وكذلك قادته لجيش الإسكندر، وكانت الحروب دائمًا داخل أحداث الأساطير في الأدب الشعبي التركي سواء أكانت بين قبائل أو دول إلا وكان لأوصاف الجيش والجنود فيها وصف مثل أنهم استعدوا ومعهم جيادهم، ولبسوا لباس الحرب، واصطحبوا معهم عدة حربهم من: سيف، وقوس، وسهم، ورمح، وترس.

وإنَّ أكثر ما يذكر في الأساطير التركية عن حروب الحكام الترك دائمًا ما يكون ضد أعدائهم الذين يريدون احتلال الأراضي التركية؛ ولذلك نجد التفاف الشعب دائمًا حول حكامه. [١٢]

(١٠)– دور الحيوان داخل أحداث الأسطورة:

إنَّ الناظر لتلك الطيور وعلى بساطة وصف المشهد الذي مرت أحداثه داخل الأسطورة يعتقد أن دورها يسير إلا إنني أرى أن هذا الرأي لم يحالفه الصواب، فلو اطلعنا على أكثر الأساطير التركية لوجدنا أن ذكر الحيوانات داخلها له أهميته الكبيرة، فمثلًا الذئب الذي يتخذه الترك جدًا لهم، والجواد الذي هو عين ويد البطل داخل الأساطير كذلك، إنما ثبت لنا أكثر بطولات الشجعان من خلال ملاقاة ومصارعة الحيوانات المفترسة، مثل: الأسد، والنمر، وغيرهما؛ ومن ثم فإن مجرد ذكر الطيور هنا إنما كان له مغزاه الذي أضافه الشعراء أو الحكاة لمثل هذه الخرافة، فالرسالة هنا أن الملوك لهم فكرهم الخاص بهم حتى وإن بدى للرعية أنه غير متوافق مع تفكيرها، فهم في النهاية عامة، وليسوا ملوكًا إلا أن الملك هنا يمتلك من الفهم والمعرفة والحيطة وحسن اتخاذ القرار، فلا يملك أحد في عصره وقليل أيضًا من يأتي بعده بمثل فكره؛ لذا فلنترك الملك وطريقة تعامله مع هذه الطيور، ولنا في النهاية نتيجة هل كان لهذا التعامل مع مثل هذه الطيور فائدة كبيرة عادت على الأمة بالنجاح في ملاقاة عدوها، إذا كان هذا فبها ونعمت وإلا فإن من يحكمنا هو مجنون لا محالة؛ ومن ثم فإن الأسطورة وصفت هذه الصورة الخرافية بين ثناياها على الرغم من أنها وضعت بطلها الأول، وهو الملك "شو" في اختبار بالغ الخطورة، فإن نجحت خطته فهو الملك العظيم صاحب الفكر الصائب، أمَّا لو حدث العكس فكيف للأسطورة أن تواري سوءة الهزيمة التي ستلحق بالملك إذًا ليس أمامنا إلا طريق ذو اتجاه واحد ليس فيه رجوع، ولا يسمح بذلك، إذًا هو النصر، فكان للحيوان هنا دور مهم يتمثل في كونها حيوانات ضعيفة واهية، ولكنها في الوقت نفسه تضطلع بدور مهم فكيف لها أن تساعد الملك في حربٍ عظيمة يتعلق بها شأن أمة بأكملها، أرادت الأسطورة هنا أن تثبت أن

ملكًا عظيمًا ذا عقل وتفكير راجحين يمكنه النصر حتى لو اعتمد على مثل هذه الطيور الضعيفة العاجزة، فالملك إنما يستمد من هذه الطيور بعضًا من الرموز البسيطة الذي يستطيع هو دون غيره من المحيطين به استنتاجها واستخلاصها من خلال تتبعه لغوص تلك الطيور وعومها .

إنَّ خرافة الحيوانات عندما تذكر في أساطير الأدب الشعبي التركي تكون ذات مهمة أساسية في نجاح فصول الأسطورة، وتضمن لها استمرارها وصيرورتها بين ثنايا الشعب التركي على مر العصور والأحقاب.[١٣]

(١١)– أهمية التعاون بين الملك "شو" ومساعديه لإنجاح الخطة:

بالنظر داخل أحداث الأسطورة سنجد الملك "شو" اعتمد على عدة ركائز لإنجاح خطته، أولها– الأربعون شجاعًا ودورهم في مراقبة الوصول لجيش الإسكندر. ثانيها– قواد جيشه، وتنظيم قواتهم، واستعدادهم للحرب، وعلى الرغم من أنه كان لا ينتوي الحرب فإن هذا كان من باب الخداع الاستراتيجي، فعيون وجواسيس الإسكندر سيرون تأهب جيش "شو"؛ لذا سيضعون خطة حربهم طبقًا لما يشاهدونه أمامهم من حالة جيش متأهب بملاقاتهم، فكان للملك "شو" ما أراد، ووصل الخبر لجيوش الإسكندر، أنهم سيخوضون حربًا ضد جيوش الترك، ولم يعلموا أن هذا من بين الأركان الأساسية لخطة نجاح الملك "شو".

كذلك كان لتعاون الطيور وإرسالها تلك الرسائل التي لا يعلمها أحد من البشر حتى الآن – أحد العوامل الرئيسة في نجاح خطة الملك "شو" للنجاة، وكأن هذا يُعَدُّ بمنزلة تعاون كبير يريد الشاعر الذي يذكر الأسطورة على سامعيه أن يقدموا الشكر لهذه البحيرة ولمن بداخلها من الطيور، وكل هذه الرموز إنما تعد في نظر الأدب الشعبي التركي نجاحًا محققًا للأسطورة، كذلك كان للتعاون المقدم من القبائل التركية في المشرق، والتي التجأ إليها الملك "شو" واستطاع النجاة بنفسه وقومه – تعاون كبير داخل أحداث الأسطورة.

وكان لكل سيد أو أمير أو ملكٍ عند الترك أربعون شجاعًا مُعينًا له، وهم بمنزلة قوته ونفوذه، يصاحبونه في أكثر تنقلاته، ولهم مهام خاصة تسند إليهم؛ لتنفيذ خطط محددة، ومهام بالغة الصعوبة، ومتدربون على مستوى عالٍ جدًا.[١٤]

(١٢)– عملية الهجرة المتقنة للخطة:

اقتربنا من إظهار سر نجاح خطة النجاة، وكان آخر الفصول داخل أحداث الأسطورة هي تلك الهجرة، ونحن سنغير شيئًا في الزمن داخل أحداث الأسطورة سنذكر الهجرة أولًا، ثم بعدها

خطة النجاة، ولما جلس الملك "شو" دون أن يَصْدُرَ منه أي أمر لجيشه بكيفية التحرك والمواجهة مع جيش العدو – كان ينتظر قدوم ذلك الجيش، وعندما أخبره شجعانه بعبور الإسكندر مياه نهر "هوجند"، كان ظل الليل قد خيم عليه عندها علم أن الإسكندر سيحضر بجيشه في آخر الليل وقرب الفجر، عندها أمر الملك مواطنيه بالهجرة صوب الشرق حيث توجد كل القبائل التركية، وكان ذلك مع بداية دخول الليل، فكان لميعاد الهجرة المتقن والمحدد الأهمية الكبرى لإنجاح خطة الملك، فتأهب كل الشعب فقد أمر الملك بدق الطبول، فعلم الشعب أن هناك أمرًا جللًا، بعدها أصدر أوامره لكل طوائف الشعب بالخروج من مدنهم راكبين دوابهم حاملين معهم كل ما يمكنهم حمله من أمتعتهم، ففعلوا ما أمرهم به ملكهم، وساروا نحو الشرق حيث تعيش القبائل التركية إلا أن فريقًا منهم لم يتمكنوا من اللحاق بهم.

وكان لهذا الموقف ذلك التصوير داخل أحداث الأسطورة "عندما عبر الإسكندر مياه هوجند(Hocand) وصل إلى مقر درك البلدة، فأبلغ رجال الاستطلاع (العسس) الملك بوصول ذي القرنين، فأمر الملك من فوره بدق الطبول، والاتجاه صوب الشرق، وفي الصباح تحول المخيم إلى أحد السهوب".

(Zülkareyn, Hocand suyundan geçerek, · karakola gelir. Zülkareyn'in geçtiğini, bu gözcü karakol hakana haber verir. Hakan hemen davullar çaldırarark, doğuya yürür. Sabah olunca ordugah düz bir ova halini alır .)

"Ali ÖzTürk Çağları içinde Türk Destanları ,S:٩٦-٩٧"

وتذكر المصادر أنَّ الشعب التركي من أكثر شعوب العالم هجرة للبحث عن سبل العيش، وذلك منذ القدم، فالقبائل التركية تهاجر شتاءً، وكذلك في الصيف حيث المراعي، وجداول المياه؛ بسبب أن أكثر ممتلكاتهم كانت تتمثل في المواشى والأبقار .[١٥]

(١٣)– مَنْ تخلف عن الهجرة:

يذكر في الأسطورة أنَّ الملك "شو" عندما أصدر أمره بقرع الطبول والهجرة إلى الشرق لكل عموم شعبه بعد قرب وصول الإسكندر إليهم كان الوقت ليلًا، وبالطبع لم يكن أحدٌ يعرف أن الأمور ستسير على هذا النحو، وأن هذا الأمر سيصدر فجأة هكذا فأخذ كل الناس يجهزون

ركائبهم من خيول وغيرها، ويحملون عليها كل متاعهم حيث كان الأمر قد صدر من الملك إلا أن بعضًا من أفراد الشعب لم يسعفه الوقت لأن يجد الركائب التي تحمله وعائلته ويذهبون مع بقية شعبهم إلى الشرق؛ فتخلف اثنان وعشرون شخصًا، وظلوا في موطنهم، وهم على هذه الحال، قدم إليهم اثنان أيضًا لم يذهبا؛ فصاروا أربعة وعشرين شخصًا بالإضافة إلى أسرهم فلما بقوا وجاء الإسكندر عندما رآهم وصفهم بأنهم أتراك أصحاب شعر طويل، ويقال إن هؤلاء هم من شكلوا فيما بعد قبائل التركمان الأربعة والعشرين .

"وبعد أن رحل الملك تخلف اثنان وعشرون شخصًا مع أبنائهم، وقضوا ليلهم باحثين عن حيواناتهم إلا أنهم لم يتمكنوا من العثور عليها ليلًا".

(Hakan ordusu ' ile savuşup gitdikten sonra çoluk çocukları ile yirmi iki kişi kalmış idi . Bunlar geceleyip hayvanlarını bulamamışlar)

"Ali ÖzTürk Çağları içinde Türk Destanları ,S: ٩٧"

وكان أكثر الأتراك قبل الإسلام يعيشون كقبائل رحل إلا أنهم كانوا يتجمعون تحت حكم سيد واحد لكل قبيلة مما كان يميزهم بالترابط والتماسك .[١٦]

(١٤)- مظاهر الخرافة في الأسطورة:

أول ما يطالعنا من مظاهر للخرافة داخل أحداث الأسطورة، هو ذلك الحوض المصنوع من الفضة على هيئة بركة ماء، لم يحدد حجمه من خلال وصف الأسطورة له، هذه هي إحدى الخرافات غير المتكررة كثيرًا داخل الأساطير التركية، وكان لها دورها ذكرناه سابقًا إلا أن دورها لا يتم إلا إذا مُلئت بالماء، فتكون معدة لأن تصبح مسبحًا للطيور، وهنا يأتي دور آخر للخرافة داخل أحداث الأسطورة، فالطيور كان لها دور أصاب المحيطين بالملك "شو" بالدهشة والذهول كيف أنه يترك أمر حربه، ويأمرهم أن ينظروا معه إلى هذه الطيور وهي تسبح تارة وتغوص الأخرى داخل ذلك الحوض، فبدلًا من أن يضع أمامه الخرائط الحربية لصد ذلك العدوان وإعداد العدة لذلك يترك كل هذا، ويأخذ بالنظر إلى هذا المسبح وتلك الطيور، وعندها نرى أن حالة من الترقب والصبر من قواد جيشه تجاه هذا التصرف الذي يرونه لا يتوافق وما يواجهونه من استعداد للحرب، وأن العدو قد اقترب منهم، وسيغزو بلادهم.

وكأن الخرافة لم تقف داخل أحداث الأسطورة فيما يتعلق بالمسبح عند مجرد النظر إليه، بل أنها جعلت من ذلك المسبح المفتاح الذهبي لنجاح الخطة التي من خلالها سينجون جميعًا، فالرأي الذي توصل إليه الملك إنما نتج عن طريق تلك الحوارات الصامتة بينه وبين مسبحه وطيوره التي تعوم بداخله.

والخرافة هي أحد المكونات الرئيس في الأساطير التركية تضيف لأحداثها ما يجذب انتباه السامعين، وتجعلهم يتعلقون بسماعها عبر العصور.[١٧]

وتمثل الحيوانات في كثير من الأساطير التركية جانب الخرافة، فقد تكون هذه الحيوانات أحد الجياد أو الجمال أو حتى الثيران، وهناك بعض من الطيور ورد ذكرها من باب الخرافة أيضًا.[١٨]

(١٥)- نجاح الخطة:

هذه هي النهاية في أحداث الأسطورة، وهي أهم حدث، فبعد أن استعان الملك "شو" بعوامل كثيرة لإنجاح خطته ذكرناها سالفًا، وبعد أن خدع الإسكندر وجيشه حتى اقتربت ساعة الصفر من تنفيذ الخطة وهي بين قوسين أن ما سيحصده الإسكندر هو (الفراغ)، فقد استطاع الملك بحكمته أن يجعل الشعب يرتحل عن موطنه ليس هروبًا إنما هو يتجه صوب الشرق حيث هناك تعيش قبائل الترك الأخرى التي يشد بعضها أزر بعض، وعلى ذلك أراد الملك "شو" أن يفاجئ ويصدم الإسكندر وجيشه عندما يدخلون أطلالًا خاوية على عروشها من دور وبيوت وحدائق وأراضي شاسعة، ولا يوجد أي شعب عندها سيعرف الإسكندر أنه جاء إلى أرض بور خربة مجرد أراضٍ لا فائدة منها تعود عليه، بينما الترك هكذا سيحاصرونه داخل هذه الأراضي في وسط آسيا، وبينما كان يريد أن يكمل فتوحاته حتى تركستان الشرقية إذًا عليه المرور من ناحية الشرق عندها سيجد كل قبائل الترك ودولهم وقد اجتمعوا وأعدوا له العدة، فلن يستطيع المرور بسهولة، ولن يجد أمامه سوى عقد مصالحة مع الملك "شو" وبقيه الترك؛ لذا فلن يقاتلهم، ولن يغزو بلادهم، ولا يمكنه احتلالها، كل هذا نصر يحسب للملك "شو"، وكأنها كانت بمنزلة الحرب الباردة.

فقد أمن جيشه وشعبه وبلاده وحاصر الإسكندر في ركن قوي متين لا يمكنه التزحزح عنه إلا إذا عقد اتفاقية للصلح، فلو بقي الملك "شو" في بلاده وسط آسيا لسنحت للإسكندر الفرصة للانقضاض عليه والقضاء على مملكته، إنما كانت الخطة ونجاحها يتعلق بأن يدخل الإسكندر بلادًا خاوية على عروشها فارغة من أي مظاهر للحياه، ليس فيها ما يفيد بشيء من ناحية اقتصادية

أو عسكرية أو استراتيجية، فالخطة اعتمدت على التوقيت، وترك المكان شاغرًا، والتمركز في أقصى الشرق عندئذ يكون الإسكندر هو مَنْ حوصر، وليس الملك "شو"، وهذا يحسب له بوصفه ملكًا ذكيًا بارعًا.

وتصور هذه المشاهد بين ثنايا الأسطورة على النحو الآتي:

"وانسحب الملك "شو" إلى حدود الصين، وتبعه الإسكندر، وكان ذلك بالقرب من الإيگور، وأرسل الملك "شو" فرقة عسكرية إلى الإسكندر، وأرسل الإسكندر كذلك فرقة عسكرية، وحدثت مواجهة عند جبل يُسمى الدم الذهبي، واليوم يسمى ملك الذهب، بعد ذلك وقع ذو القرنين مع الملك "شو" اتفاقية سلام، وأسس "شو" مدن الإيگور، واستقر فترة من الزمان هناك، وبعد أن انسحب ذو القرنين، ومضى لحال سبيله عاد الملك "شو"، وتقدم حتى بالاساجون، وأنشأ مدينة تحمل اسمه (شو)".

Hakan ŞU , Çin'e doğru çekilip gitmiştir . Zülkarneyn arkasına düşmüş idi . Uygurlara yakın , Hakan Zülkarneyne bir bölük asker gönderir , Zülkarneyn de ona gönderir , bu çarpışma ALTUN KAN denilen bir dağda olmuştur . Bu gün AL TUN HÀN denir . Bunun üzerine Zülkarneyn « ŞU HAKANLA » barıştı ve Uygur şehirlerini kurdu . Bir müddet oralarda oturdu . Zülkareyn çekilip gittikden son ra Hakan Şu geldi , Balasaguna kadar ilerledi . Kendi adını vererek « ŞU » adında ki şehri yaptırdı.

"Ali ÖzTürk Çağları içinde Türk Destanları ,S: ٩٧"

(١٦)- نتائج الخطة:

أهمها نجاة الشعب التركي بأكمله بوسط آسيا من حرب طاحنة، لا يعلم مداها إلا الله، هذا من الناحية التاريخية، أما من ناحية أساطير الأدب الشعبي التركي فالفوائد بسبب نجاح هذه الخطة كثيرة، أهمها:

أ)- أنَّ هذه الأسطورة بنجاح خطتها كانت من أهم أساطير الأدب الشعبي التركي التي تناقلتها الأجيال عبر العصور.

ب)- بين ثنايا أحداث الأسطورة وجدنا الخرافة ودورها أيضًا في نجاح هذه الخطة.

(ج)- دور الحيوانات ومساعدة البطل داخل أحداث الأسطورة، وهذا امتداد لكثير من الأساطير التركية، والتي سيكون في كثير منها البطل هو الحيوان.

(د)- أنَّ فكرة البطل الضاربة بجذورها داخل الأساطير التركية ونجاحه وبطولاته الخارقة تحققت في هذا الملك "شو"، والذي اعتمد على تفكيره من خلال استعانته بمشهد خرافي يتمثل في المسبح والطيور.

(هـ)- أمدتنا هذه الأسطورة بمعلومات جغرافية ومواطن عيش الشعب التركي في وسط آسيا ومشرقها، وكيف أن الهجرة بين المكانين كان ميسورًا سهلًا من خلال الركائب فقط، وإن كان ظاهرها يبدو من اليسر والسهولة بمكان، إلا أن الأسطورة هنا رمزت إلى أن إرادة الشعب التركي القوية وعزيمته مكنته من إنجاز هذه المهمة على الوجه الأمثل في أقل من نصف الليل، وهذا أيضًا يميل إلى الخرافة داخل أحداث الأسطورة.

(و)- أمدتنا الأسطورة بتشبيهات وفنون بلاغية أخرى جميلة، ومنها: تشبيه المدينة عندما فرغت من سكانها، فوصفتها الأسطورة وكأنها سهل خاوٍ منبسط .

(ز)- وكانت الصور البديعية لحال المواطن التركي عند هجرته، فقد هاجر في الظلام، وهو يسير مع عائلته وركابه، يضع عليها ما استطاع حمله، وكأنهم هنا مثل نجوم يسيرون داخل ظلام حالك، فيشكلون طريقًا ممتدًا للنور يشق الظلام كل هذه التشبيهات وغيرها مما تحويه الأسطورة كانت بمنزلة رافدٍ يغذي الأساطير التركية في الأدب الشعبي.

وفكرة البطولة والوصول إليها كانت حاضرة بصورة كبيرة لدى أكثر حكام الترك عبر العصور لا سيما قبل الإسلام كان الحكام يؤمنون أن طاعة شعوبهم يلزمها أن يظهر حاكمهم قويًّا شجاعًا يحقق من البطولات ما يعجز عنه الآخرون .[١٩]

الخاتمة

حاولت في هذا البحث الإجابة عن سؤال مهم، وهو هل هذه الأسطورة كان بها خطة نجاة صنعها بطلها، وهو الملك "شو"؟ فأجبت عن السؤال على النحو الآتي:

(أ) – أنَّ الملك "شو" كان أمامه سبيلان لا ثالث لهما، إما المواجهة مع جيش جرار، لم يتمكن أحد من صده، أو أنه يجد خطة نجاة له ولقومه، فوجدها ونجا وأهله ووطنه.

(ب) – كان للملك "شو" الفضل في نجاح الخطة، وكانت نتائجها لا حصر لها عليه وعلى قومه بالنفع وتقوية أوصال الدولة التركية شرقًا وغربًا.

(ج)– أن عوامل نجاح هذه الخطة لم تكلف الملك "شو" كثيرًا، فكانت الخطة تقوم على فكرة رئيس، وهي مفاجأة العدو أن ما قدمت من أجله صار هباءً منثورًا لا بلاد ولا عباد، بل ديار خاوية، وأنت حوصرت في منتصف طريق لا يمكنك إلا القبول بشروطنا، وعقد صلح يلزمك ألا تهاجم بلاد الترك، وكان هذا الصلح بمنزلة الماسة التي توج بها تاج النصر للترك، وفي النهاية نجحت خطتهم، وهناك أسئلة أيضًا كيف لو لم يكن النجاح حليفًا لخطة النجاة هذه؟ وأجبنا لكان بمنزلة فناءً للملك ولشعبه وضياعًا لوطنه وقوميته إذا كانت هذه الخطة بالأهمية بمكان فلولاها لحدث ما لم يكن تُحمد عقباه.

المصادر والمراجع

١ (١)Bak: Z.Velidi Togan, Umumi Türk Tarihinde Giriş . .stanbul . ١٩٤٦ . Akçağ yay"

٢ Bahattin esin. Türk kültürü elkitabı . Istanbul , ١٩٨٤, Togan yay"

٣ Httpsi//tr.wikipedia.org/wiki/şu-

٤ Nermin Öztürk, Türk Edebiyatının Tarihi . İstanbul . ١٩٩٧ , Ata yay"

٥ Umay Günay, İslamiyet Öncesi Türk destanları Özetleri. İstanbul ,١٩٨٩, Kitab evi yay"

٦ Ali Öztürk. Çağları içinde Türk Destanları ,İstanbul ,٢٠٠٠, Alioğlu Yay"

٧ M. Ayşenur. Sakalar destanı. İstanbul , ٢٠٠١, Bedir yay"

٨) N. Ramazan.Türk Destanları .İstanbul ١٩٩٥ . Dergah yay"

٩ Rahmeti Arat. Türk Tarihinde Destanlar . İstanbul . ١٩٤٣. Ay Yay"

١٠ Tekin ,Hacib, İslamlıktan Önce Türk destanları, Ankara , ٢٠٠٣, Kayı yay"

١١ Cemil Yener .Türk Halk Edebiyatı .Ankara .١٩٩٢ . Yay"

١٢ Bayküzü yaser . hunlar, İstanbul, ٢٠٠١, Kabalcı yay"

١٣ Faruk Sumer Türk Destanları .İstanbul .١٩٨٧ . Karadağ Yay"

١٤ F,Bayat, eski destanları , İstanbul , ١٩٩٢ , İmge yay"

١٥ Önay Mehmet , Türk çağları, İstanbul , ١٩٨١, Orsoy Yay"

١٦ R,Koca, Sakalar Tarihi , İstanbul, ١٩٧٤, Ötüken yay" ,

١٧ M,Yusef, Efsane Hikayeleri, İstanbul, ١٩٩٢, Arat yay"

١٨ Göksu Erkan, Türk Halklarının tarihine giriş , İstanbul, ٢٠٠٩, Karam yay"

١٩ Ahmet Osman , Halk Edebiyatnın tarihi , İstanbul , ١٩٧٨, Togan yay"